الذكاء الاصطناعى

فرص وتحديات للتعليم والتنمية

أ.د. طلعـــت منصـــــور

أستاذ الصحة النفسية والإرشاد النفسي

كلية التربية – جامعة عين شمس

يعيش العالم متوالية من الموجات الحضارية القائمة على الذكاء الاصطناعي تدفع في تدفق لتيارات حضارية متعاقبة ومتراكبة، سرعان ما تجد المجتمعات الإنسانية نفسها أمام موجة أو موجات جديدة، وهي لا تزال مشغولة بموجة سابقة – استيعاباً لها وإعمالاً بها في شتى ميادين الحياة، وتلتقى موجة بأخرى في تفاعل كمي وكيفي، يفضي إلى موجة أو موجات جديدة متلاحقة ومتسارعة .. تلك حالة إنسانية وحضارية فائقة التميز على مدى قصة الحضارة من الاستجابة والتحدى على نحو ما يقدر المؤرخون. فهى حالة تنساب في جسم المجتمع المعاصر – بنائية ووظيفية، ومطمورة في كل خلاياه ومفاصله، ومتفاعلة معها.. لتشكل وجهاً جديداً ووجهة فريدة للحضارة الانسانية.

.. وإزاء تلك هى الحالة الحضارية التي يعيشها العالم المعاصر مع خوارزميات الثورة الرقمية والذكاء الاصطناعي. ثمة تساؤلات جد خطيرة: ما هو مستقبل البشرية في عالم تكنولوجيات الذكاء الاصطناعي المتعددة والمتفتحة؟ وما هو موقع الانسان منها: من سيد من؟!

الذكاء الاصطناعى، تحديداً، هو نظام فرعي لعلم الكومبيوتر، يسعى إلى إنتاج برامج تماثل الذكاء الإنساني، ويتضمن فروعاً عديدة: وهى: الروبوتات المفكرة، وماكينات التعلم، والرؤية الكومبيوترية، وماكينات التعلم، والألعاب الكومبيوترية، والأنظمة المتخصصة، والحسب الكوانتمي، والتكنولوجيا الحيوية، والتخليق الرقمي، واللغات الحاسوبية، والآليات المسيرة ذاتياً، وغيرها كمنظومات مفتوحة وربما بلا حدود أو قيود، وصولاً حتى إلى "الإنسان الافتراضي".

هذه الوسائط التكنولوجية فائقة التقدم والتسارع يجرى توظيفها، ووسط حالة محمومة من إحراز السبق وتحقيق مزايا تنافسية بين المجتمعات والمؤسسات، وذلك في مجالات عدة، نشير إلى بعضها على سبيل المثال لا الحصر، مثل: البيانات الضخمة التحليلية، صنع القرار، ودنيا الإنتاج والاقتصاد والأعمال والمال، والتسويق الذكي، والمدن والبيئات الذكية، والإنتاجية الزراعية، والتعلم الذاتي الآلي، والتعلم العميق، والواقع المعزز وتطبيقاته في مجالات الترفيه والفن والإعلام والألعاب والصناعة والطب وغيرها.. وحيث تكون الخوارزميات قابلة لاتخاذ قرارات ذاتية ومتآنية ومعززة بعالم افتراضي.

وفي هذا السياق من الطبيعي أن يكون للتعليم موقف مسئول ودور فعال.. فالذكاء الاصطناعي في نهاية والتحليل يتمركز على الإنسان تعليماً وعملاً، معرفة وثقافة، وموجهاً بالأحرى إلى أن تكون هذه الإبداعات والإنتاجات هي لرفاهته وتقدمه، ومن ثم أن تكون مصونة برصيد حضاري وإنساني من القيم والفضائل، رغم ما يثار من جدل يتراوح بين التفاؤل والتشاؤم إزاء احتمالات سوء الاستخدام

لهذه الوسائط الحضارية، أو حتى احتمالات من الفنائية والعدمية كما يذهب بعض المتشائمين.

يبادر اليونسكو بالتركيز على التعليم – استجابة وريادة – إزاء الذكاء الاصطناعي كفرص وتحديات وحاجات لتطوير التعليم، أو حتى تثوير التعليم، ليكون التعليم بحق "ذلك الكنز المكنون". وفقاً لوثيقة الأمم المتحدة لتطوير التعليم للقرن الحادي والعشرين – في دعم عملية الحضارة وترشيد مسيرتها، وضمانات مستقبلها صوب الاستدامة في عالم مشوب بالخطر. وفي هذا تلتزم اليونسكو بمساندة الدول الأعضاء للعمل "بأجندة التعليم لعام ٢٠٣٠" ، والتي تؤكد على أن تطبيق الذكاء الاصطناعي في السياقات التربوية يكون موجهاً بالمبادىء المحورية "للدمج والمساواة" ، وبأن يكون "الذكاء الاصطناعي للجميع"، وإتاحته للإستفادة من تلك الثورة التكنولوجية وخاصة من حيث الابتكار والمعرفة، وخلق فهم مشترك للفرص والتحديات التي يقدمها الذكاء الاصطناعي للتعليم، وكذلك تأكيد الدور المسئول من التعليم في تنمية الجدارات المحورية والمهارات الأساسية وبناء القدرات اللازمة لحقبة الذكاء الاصطناعي .

ويرجى من التعليم، ووفقاً لمؤتمر بكين الدولي (٢٠١٩) عن الذكاء الاصطناعي والتعليم، أن يحرك هذه الثورة في الاتجاه الصحيح لتجاوز التقسيم الرقمي أو الفجوة الرقمية أو الفقر الرقمي، وللحد من عدم المساواة بين المجتمعات وداخل المجتمعات؛ وتطوير إطار عمل لتنمية مهارات الذكاء الاصطناعي ودعم التوجه القيمي في التعليم والعمل وأسلوب الحياة عامة بما يزكي ثقافة الذكاء الاصطناعي وتربويات الذكاء الاصطناعي.

وتلك آفاق وتحديات قد تدعونا إلى الدعوة لتنظيم مؤتمر قومي أو عربي عن "الذكاء الاصطناعي والتعليم" في رؤية للحاضر بدلالة المستقبل، وذلك بريادة كلية التربية جامعة عين شمس.

ورغم ما قد يثار من مخاطر تلوح في الأفق واقعاً مهدداً للإنسان واستدامة حضارته، فإن الإنسان بذكاءاته العقلية وتفاعلها مع ذكائه الوجداني والوجودي والثقافي، هو "سيد" تلك الموجة الحضارية وإبداعاتها ونواتجها علماً وتعليماً، عملاً وإنتاجاً، وثقافة وأسلوب حياة لتبق تكنولوجيات "الذكاءات الاصطناعية المتعددة" محكومة وموجهة بالإنسان إرادة وإدارة. وهنا يمكن استجلاء مفارقة "من سيد من؟" ! وليبق الباب مفتوحاً كذلك إزاء تلك الحالة الإنسانية الحضارية التي تستدعي تساؤلات تتراوح ما بين التفاؤل والتشاؤم، والتهويل والتهوين.. وحيث يتعاظم الإنسان. ذلك الكائن المتميز المستخلف لله في عمارة هذا الكون، ومن ثم تتسامى نظرة تفاؤلية لعملية الحضارة في مسيرتها وصيرورتها واستدامتها.. وذلك رغم تلك الحالة المتردية للبشرية من الحروب والنزاعات المسلحة في عالم كنا نحلم فيه أن يكون عالماً بلا عنف، وحصيناً بقيم العدالة والسلام، والحق في الحياة والوجود المقتدر والمستحق.